تأصيل اللغة العربية في اللهجات السامية القديمة - مفردات من البيئة البدوية نموذجاً

أ.د. قصي منصور عبدالكريم التُركي
كلية التربية والعلوم بعقرة، جمهورية العراق

تمهيد:

يُرجّحُ عدد من خبراء اللغة بأن اللغة التي يتكلم بها بدو الجزيرة العربية اليوم هي أقرب جميع اللهجات إلى اللغة الجزرية (السامية Semitic) أو ما يتعارف عليها حديثاً بالعربية الأم (Arabic mother tongue)، التي كان يتكلم بها أبناء الجزيرة قبل أن تنفصل لهجاتهم في مستوطناتهم الجديدة، وذلك لأن هؤلاء كانوا منعزلين في صحرائهم دون أن يختلطوا بالأقوام الأخرى الغريبة في لغاتها وقومياتها، وبمعنى مرادف فإن اللغة العربية هي أقرب جميع لغات القاطنين في الجزيرة العربية من الجزريين (الساميين) إلى اللغة العربية الأم لكونها تشتمل على عناصر لغوية أصيلة وقديمة جداً بسبب وجودها في مناطق منعزلة يصعب تأثرها بالعناصر الأجنبية.

وفي ضوء هذا المنظور يميز ابن خلدون في مقدمته، لغة الحضر عن لغة العرب (والمقصود بالعرب هنا البدو Bedews) حيث يصف صفاء وجودة وفصاحة لغة البدو بأنها كانت أعرق في العروبية بخلاف لغة الأمصار التي فسدت أحكامها بمخالطة الأعاجم شيئا فشيئا، ويذكر ما نصه:

"وسميت لغتهم حضرية منسوبة إلى أهل الحواضر والأمصار، بخلاف لغة البدو من العرب، فإنها كانت أعرق في العروبية" (١)

وبمعنى آخر فإن اللغة في النصوص القديمة هي لغة ذات سمات بدوية أضيفت إليها فيما بعد مادة لغوية جديدة نتيجة للتطور الحاصل في نمو المفاهيم الدلالية للألفاظ، مع ظهور حاجات مستحدثة لم تكن معروفة في الموطن الأول، ولهذا نشأت لكل لغة ولهجة مسميات لا نجد لها مثيلا في اللغات واللهجات الأخرى، وفي المقابل سنجد

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، **مقدمة ابن خلدون**، ط٢، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٦، ص ٢٨٣.

التواصل والارتباط اللفظي في المعنى بين أغلب اللهجات بل بينها وبين اللغة العربية الفصيحة التي نكتب بها أو في أحد لهجاتنا التي نتحدث بها اليوم.

وسنورد في بحثنا هذا، على سبيل المثال لا الحصر بعض المفردات ذات العلاقة بالبدو والبداوة في اللغات الجزرية القديمة (السامية) مبينين أصولها وما درجت عليها من معانى تتناسب والتطور الحاصل في البيئة الحضرية الجديدة كمطلب ثاني. وقبل ذلك سنعرج في مطلب أول على العلاقة التي تربط اللغة العربية الفصحى التي نتحدث بها اليوم في محافل الدول العربية والدولية باللغة «العربية الأم» والتي تعدّ من أقدم لغات العالم خاصّة وأنّها لا تزال في بعض من محتوياتها حيّة إلى يومنا هذا، لاسيما وأن لغات (languages) (لهجات Dialects) منطقة الجزيرة العربية وخارجها تعود إلى لغة واحدة اصطلح الباحثون على تسميتها بـ "اللغة الأمّ".

المطلب الأول- علاقة اللغة العربية الفصحى باللغة العربية الأم:

تُعد منطقة الشرق الأدنى القديم مهد الحضارات والموطن الأصلي للعديد من الأقوام الذين نشئوا من أصل جغرافي واحد هو أرض الجزيرة العربيّة، وحين نتحدث عن قبائل الجزيرة العربيّة فنعني بها تلك التي كانت تستوطن المناطق الصّحراوية وتنتقل في البوادي طلباً للمراعي. وبسبب الدورة الدفيئة (global warming) والتي ما تزال متواصلة حتى اليوم والتي تتسم بانحباس الأمطار والجفاف وحرارة المناخ، قرر أغلب سكان الجزيرة الهجرة نحو مصادر المياه الوفيرة في بلاد الرافدين وسورية ولبنان وفلسطين ومصر بينما فضل البعض البقاء في الجزيرة.

لقد قدّم الباحثون عدّة نظريات حول نشوء اللّغة من جوانب متعددة، نذكر منهم على سبيل المثال: "ماكس مولر" (Max. Muller)، و«نوريه» (Nouré) و"يسبرسن" (Jespersen) حيث عزوا نشوء اللّغة إلى كونها مستنبطة من مراقبة تولّد الأصوات لدى الأطفال، ولكن لم يتوصلوا إلى حلّ يحظى بالقبول لديهم، لذلك تم ربطها بالتطوّر العقلي حتى يستطيع الانسان إيصال أفكاره إلى الآخرين. ولقد استخدم كما هو معروف الفم - رغم أنه يمثل وسيلة أكل وشرب - وكمثال على تأكيد ما ذهبوا إليه استشهدوا بالفعل الذي يقوم به الطفل عندما يستخدم في بادئ الأمر فمه للحديث

والتكلم[1]. لقد درّب الإنسان فمه على الكلام وحاول نطق جميع الحروف حتى يتسنى له التواصل مع بني جنسه، ولهذا يرى المتخصصون أن «**الظواهر الحضاريّة لا تولد كاملة النموّ بل تولد بسيطة ثم تنمو وتتطوّر شيئا فشيئا**»[2]، واللغة ظاهرة مكتسبة وليست ناشئة مع نشوء الإنسان، بل حاول الإنسان تطويرها حتى يتسني له التعبير عما يخالج نفسه من فرح وحزن ... الخ، لان الإنسان يمتلك أعضاء نطق لا يمتلكها غيره من المخلوقات. إذن اللغة مرتبطة بنشوء الإنسان على هذه الأرض.

أمّا الخطوة الأهمّ في تاريخ البشرية فهي الكتابة واستخدامها كوسيلة، فمع الكتابة ابتدأت مرحلة جديدة في حياة الإنسان بفضل تحصيله على مكنوز من الألفاظ والدّلالات ساعدته على الاتصال والتبليغ، وإذا أقررنا بتمكن الإنسان من اكتشاف الكتابة فإن الطبيعة هي التي علمته القراءة[3]، وبهذا اعتبر المتخصصون ظهور الكتابة في أواخر الالف الرابع قبل الميلاد، انتقالاً نحو العصور التّاريخية بالقول: «**إنّ الكتابة تعتبر أساساً من أسس التحضر وشرطا من شروطه، وأنّها تتخذ دليلاً من الأدلة على انتقال المجتمع من مرحلة ما قبل التأريخ البدائية إلى مراحل التأريخ الحضاريّة ... إنّها تيّسر سبل انضباط الفكر وتفتحه ونموه وتحفظ التّراث وتتيح انتقاله من جيل إلى جيل وتراكمه عبر الأجيال**»[4].

أولا- اللغة العربية الأم وبناتها:

من المعروف أن اللغة هي التي تحفظ للأجيال المتعاقبة التّراث الفكري، وللأمة وللإنسانيّة ماضيها المجيد، لذا فمن المرجح أن اللغة العربيّة الأمّ أقدم لغة معروفة، وفي ذلك يذكر المتخصصون«**إن اللغة العربيّة التي يعترف الخبراء في كونها أقرب من جميع اللّغات العربيّة (الساميّة) إلى اللغة الأمّ الأصليّة - التي اشتقت منها جميع هذه اللّغات- هي على**

(١)عفيفي،السيد عبدالفتاح، **علم الاجتماع اللغوي**، القاهرة، ١٩٩٠، ص١٦٢ وما بعدها. كذلك: علي عبدالواحد وافي، **نشأة اللغة عند الإنسان والطفل**، دار المعارف، القاهرة ،١٩٧٣، ص ٦٣.

(٢) رشيد، فوزي، **الفكر عبر التاريخ**، دار سينا للنشر،القاهرة ،١٩٩٦، ص ٨ وما بعدها.

(٣) قنطر، محمّد حسين، **الكتابة في البحر المتوّسط**، نقله بتصرّف عبد الرحمان أيوب، دار أليف للنشر، ط ٢ ، تونس، ١٩٩٦، ص ص ٥٨-٥٩.

(٤) عبده، سمير، **السريانية : العربيّة الجذور والامتداد**، دار علاء الدين، ط ٢، ٢٠٠٢، ص ٤٥.

أرجح الاحتمالات أقدم لغة في العالم لم تزل حيّة حتى يومنا هذا»[1].

وهذا دليل على أن الكتابة أوّل ما إبتدؤا في المنطقة العربية ـ وادي الرافدين ووادي النيل ـ بشكل خاص والشرق الادنى بشكل عام، وتعتبر المنطقة مهد الحضارات القديمة ومهد العلم والحضارة، حتى سارت مقولة في الغرب إبّان عصر النّهضة مفادها **«إنّ الحضارة مولدها في الشرق، وعبّر عنها بعبارة « Ex Orient " والتي تعني النّور يأتي من الشرق، وعنوا بها الحضارة والتمّدن والعلم»**[2].

فبفضل التجارب والخبرات استطاع الإنسان أن يطوّر تلك اللّغة التي ابتدعها خاصّة وأنّ النازحين من الجزيرة العربيّة كانوا جميعهم يتكلمون بلغة واحدة هي اللغة العربيّة الأمّ. "وكانت الأرض كلّها لساناً واحداً ولغة واحدة"[3] (تكوين ١١:١) ثم تفرعت من هذه اللغة عدّة لهجات، ولكن رغم ذلك فإنّها تبقى محافظة على أصل واحد مشترك وذلك بدليل أنها محافظة على خصائص أصليّة في اللغة العربيّة الأمّ فهي لغة جميع الأقوام العربيّة. وبفضل اللغة العربيّة الأمّ تطوّرت لهجات الأقوام النّاطقة بها في مستوطناتها الجديدة، ورغم أنها تباعدت بألفاظها أحياناً وتعدّدت تراكيبها، إلاّ أنّها حافظت على خصائص اللغة الأمّ والتي تعود إلى أصل واحد مشترك[4]. فبدأت اللغة كلهجة محليّة متفرعة من لغة أولى، ثم تتحوّل اللهجة المحليّة إلى لغة محليّة ورئيسيّة يتم التخاطب من خلالها. وعلى هذا الأساس اجتمع أبناء الجزيرة العربيّة الذين اعتمدوا لغة "أمّ" كأداة للاتصال والتقارب حتى يتسنى لهم بناء التراث البشري الاجتماعي، فاستعملوا "اللغة العربيّة الأمّ" التي يعود موطنها الأصلّي إلى الجزيرة العربيّة. فبمجرّد هجر الأقوام لوطنها الأصلّي بسبب انسحاب العصر الجليدي الرابع "Würum"[5]. الذي سبب الجفاف وحرارة المناخ وقلة أو ندرة الأمطار، فاضطروا للهجرة إلى أماكن ذات موارد مائية وتوّجهوا إلى شمالي الجزيرة العربيّة وتوّزعوا على أطراف الهلال الخصيب حاملين معهم اللغة العربيّة الأمّ "Ursprache"[6]، التي يفترض أنها كانت لغة الأجداد،

(١) سوسة، أحمد ، **حضارة العرب ومراحل تطوّرها عبر العصور**، وزارة الإعلام، بغداد، (ب ت)، ص ١٠٣.

(٢)هيو، أحمد ارحيم، **معالم حضارة الساميين وتاريخهم في سورية وبلاد الرافدين**، دار الرّفاعي، ٢٠٠٣ م، ص ٧.

(3) Bible Arabic – English International Bible, Society Great Britain First Print, 1999, p. 15.

(٤)سوسة، أحمد، **فضل العرب واليهود في التاريخ**، بغداد، دار الرشيد للنشر، ١٩٨١م، ص ٣٠٦ وما بعدها.

(٥) الدباغ، تقي، والجادر، وليد، **عصور ما قبل التاريخ** ، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٣م، ص ١٧ وما بعدها.

(٦) باقر، طه، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، الجزء الأول، ط١، دار البيان، بغداد، ١٩٧٣م، ص ٧٢.

ثم تفرعت من هذه اللغة عدّة لهجات / لغات، ومن تفرعات اللغة العربيّة الأم نجد الأكديّة التي تعتبر لهجة سكان العراق القديم الأولى وتفرعت منها منذ مطلع الألف الثاني اللغة البابليّة والأشورية[1]. وفي بلاد الشام (سورية وفلسطين ولبنان والأردن) نجد اللغة الكنعانيّة التي تفرعت منها عدّة لغات /لهجات ومنها الفينيقيّة والعبريّة والآراميّة، وقد وصفت مرحلة الكتابة بهذه اللهجات بالمرحلة الابجدية (هجائية) والتي تعتمد في الاساس على رموز (حروف) يؤدي كل واحد منها صوتا معينا[2].

ولقد تسنى للعديد من الباحثين أن يطلقوا على هذه اللغة الأمّ لفظ «اللغة السامية» عند دراستهم «كتاب العهد القديم» للدلالة على الأقوام التي استقرت في الهلال الخصيب وتكلمت بلغات متشابهة تعود إلى أصل واحد،[3] في حين أن الأرض التي ينتمي إليها كل المتكلمين باللغة الأم وبناتها هي أرض الجزيرة العربية، وعلى هذا الأساس سنطلق مصطلح الجزريين على الأقوام المهاجرة من الجزيرة العربيّة خاصّة وأن كلمة سامي لا تستند إلى أساس رصين في الواقع التّاريخي، بل تستند فقط إلى ما جاء في العهد القديم «سفر التكوين» الإصحاح العاشر ٢١-١٣ عن أنساب سام ابن نوح.

ونستطيع كذلك أن نطلق لفظ «العرب» أو «الأقوام العربيّة القديمة» على الأقوام المهاجرة من الجزيرة العربيّة مهما اختلفوا في اللّهجات واللّغات ومهما تعدّدت أماكنهم فهم عرب، خاصةً أنهم هاجروا من نفس الأصل وهو الجزيرة العربيّة. فعامل القرابة اللّغوية وعامل وحدة المكان من أهمّ ما يميّز حضارة الشرق القديم، لاسيما أن ثقافة سكانها ثقافة عربيّة ولغتهم هي اللغة العربيّة الأمّ بجلّ فروعها.

(١) نفس المصدر، ص ٦٩.

(٢) السعيد، سعيد فايز ابراهيم، والمنيف، عبدالله بن محمد، **حضارة الكتابة**، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، ٢٠٠٢، ص ٢١ ومابعدها.

(٣) ذهب المستشرق النمساوي شلوتسر (Scholözer) في عام ١٧٨١م إلى القول إن الأقوام المتكلمة بتلك اللغات قد انحدرت جميعها من جدّ واحد هو سام بن نوح، مستندا إلى الرواية التوراتية في الإصحاح العاشر من "سفر التكوين"، وهذه التسميّة لا تمثل المعنى الصحيح، لأنّها لا تستند إلى واقع تاريخي أو إلى أسس علميّة صحيحة لذلك فإنّ الشعوب التي هاجرت من الجزيرة العربيّة واستقرت في الهلال الخصيب وكونوا حضارة الشرق الأدنى القديم (وادي الرافدين، سورية ، لبنان، فلسطين، الأردن، الخليج العربي، جزيرة العرب) سنسميهم عرب ونسمى لغاتهم المنحدرة من اللغة العربيّة الأمّ، بـ "اللّغات العربيّة الجزرية"، وبهذا الخصوص يقول أحد الباحثين المختصين: ولعلني لا أكون مخطئا أو مبالغا إذا قلت إن الوقت قد حان لاستبدال مصطلح "سامي" و"سامية" بـ"عربي" و"عربية"، فقد رأينا أن تلك التسمية تسمية مصطنعة تقوم على أساس التقارب في اللّهجات وعلى أساس فكرة الأنساب في التوراة"، انظر: علي، فاضل عبد الواحد، **من سومر إلى التوراة**، دار سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٤٠ وما بعدها.

وعلى الرغم من أن جميع القبائل كانت من أصل مشترك هي جزيرة العرب، إلا أن سكانها تكلموا لغات / لهجات تعود في أصلها إلى لغة واحدة تتشابه في الخصائص، لذلك فإنهم وان اختلفوا في مناطق نزوحهم وانتشارهم، إلا أنهم ارتبطوا بعامل القرابة اللغويّة ومن بين أهم لغاتهم وفروعها الآتي:

I ـ اللغة الاكدية :

أول اللغات الرسميّة التي وصلتنا مكتوبة لأوّل الشعوب القادمة من الجزيرة العربية هي اللغة الاكدية، فهي أقدم لغة جزرية في بلاد الرافدين وتظهر فيها العديد من خصائص اللغة العربيّة (الجزرية)، وانتشرت بقيام الإمبراطورية الأكديّة إلى شمال سورية وعلى الطرف الغربي من الخليج العربي، وتفرعت إلى اللغة البابلية في الجنوب و اللغة الآشورية في الشمال.

وبما أن الاكدية أقدم لغات أقوام الجزيرة العربيّة وأن أوّل هجرة جزرية هي للشعب الأكدي، فهذا يرجّح أن هناك لغة شقيقة للغة أقوام الجزيرة العربيّة انفصلت عنها في فترة مبكرة[1]، وهي أقرب اللغات إلى الأصل (اللغة الأمّ)، حيث بقيت حيّة طيلة ٢٥٠٠ عام قبل الميلاد، وبذلك تكون من أطول لغات الأرض عمراً[2]، إذ بدأ استعمالها منذ أن حلّت الأقوام المهاجرة من الجزيرة العربيّة في حدود أواخر الألف الرابع قبل الميلاد وظلت مستخدمة إلى القرن الأول ميلادي[3].

ويكفي أن نشير إلى صلة القرابة الواضحة للغة الاكدية مع اللغة العربية، أن الاكديين أنفسهم أشاروا إلى لغتهم بمصطلح اللغة الأكدية وعبروا عنها بـ اللسان الاكدي وباللفظ التالي: «لشان أكدي» (lišānum akkadītum) أي اللسان أو اللغة الأكديّة[4].

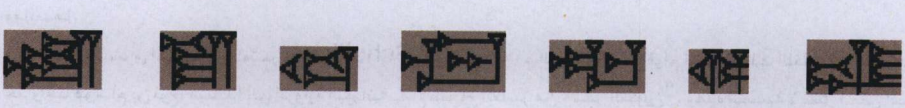

(١) رشيد، فوزي، **قواعد اللغة الأكدية**، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠٩م، ص ١١.

(٢) حنون، نائل، المعجم المسماري، معجم اللغات الأكدية والسومريّة والعربيّة، الجزء الأوّل، مقدمة في الكتابة المسمارية وفقه اللغتين السومريّة والأبجدية، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠١ م، ص ١٢٧.

(٣)باقر، طه، **المقدمة**، مصدر سابق، ص ص ٦٣-٦٤.

(4)- The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of the University of Chicago, Chicago, 1956ff,vol.1,p.272, vol .9 ,p.213.

li - ša - num ak - ka - di - tum

وتجدر الإشارة إلى أن اللغة الاكدية أصبحت في زمن الملك «سرجون الأكدي» (٢٣٧٠ ق.م) (مؤسس الإمبراطورية الأكدية) لغة واسعة الانتشار إذ بواسطتها دوّنت مختلف النّصوص القانونيّة والأدبية، وهي اللغة المعترف بها في المراسلات الرسمية بين الشعوب المتحضّرة[١]، كما أنها أخذت صفة اللغة الدوليّة» (International Language) خلال الألف الثاني والنّصف الأوّل من الألف الأوّل ق.م[٢]، حيث دوّنت مفرداتها على الطيّن والحجر وربما الخشب والمعدن، فكان لذلك الأثر الإيجابي لعدم تلفها أو ضياعها، عكس النصوص التي دونت على البردي في حضارة مصر القديمة.

وعلى الرغم من سقوط الدولة الأكدية إلاّ أن استعمال اللغة الأكدية ظل متداولا خاصّة بعد أن تفرعت إلى لهجتين، الأولى بابليّة نسبة إلى بابل في الجنوب، والثانية آشوريّة نسبة إلى آشور في الشمال، وذلك مع بداية الألف الثاني قبل الميلاد. وعلى هذا الأساس تكون اللغة البابليّة واللغة الآشورية منتميتان إلى اللغة الاكدية[٣]، التي هي الأقرب إلى اللغة الأم التي ترجع إليها أصول اللغات الجزرية ، حيث تتشابه صيغة المطاوعة في كلا اللغتين في بعض الحالات من حيث حرف "النون" (n) الداخل إلى أول الفعل، والذي يشبه حرف النون الدال على صيغة المطاوعة في اللغة العربية[٤]، إضافة إلى تطابق صيغة المبني للمجهول في الأكدية مع صيغة المبني للمجهول في اللغة العربية، كما تتشابه إلى حد كبير صياغة الفعل المبني للمجهول في اللغة الأكدية مع الصيغ الثانوية من صياغته الفعل المزيد في اللغة العربية[٥]. وهذا يؤكد أصالة اللغة العربية التي لم يتم تدوينها إلا في عهود متأخرة.

وندرج في أدناه موجزاً لمراحل تطوّر اللغة الأكديّة والفترة الزمنية التي استغرقتها كلّ

(١) ساكز، هاري، **عظمة بابل: موجز تاريخ دجلة والفرات**، ترجمة عامر سليمان، ط ١، الموصل،١٩٧٩، ص ٩٣.

(٢) محفل، محمد، اللغات العربيّة القديمة، الوحدة الحضارية للوطن العربي من خلال المكتشفات الأثريّة: المنظمة العربيّة للتربية والثقافية والعلوم، المديريّة العامة للآثار، سوريا، ٢٠٠٠م، ص ٣٠٣.

(3) Caplice R . Introduction to Akkadian. Rome. 1980. pp.3-5.

(٤) نائل حنون، مصدر سابق، ص ١٤٧.

(٥) اسماعيل، خالد سالم، **قواعد اللغة الأكدية : دراسة مقارنة مع اللغة العربية**، آفاق عربية ،عدد ٣،٤ ، بغداد، ٢٠٠٠م ، ص ٤٨ وما بعدها .

فترة[1]:

- الأكديّة القديمة:حوالي ٢٥٠٠-١٩٥٠ ق.م
- اللهجة البابليّة القديمة:٢٠٠٠ -١٥٢٠ ق.م
- اللهجة البابليّة الوسيطة: ١٥٢- ١٠٠٠ ق.م
- البابليّة الفنيّة: وهي لغة النّصوص الأدبيّة لفترة النصف الأوّل من الألف الأوّل قبل الميلاد
- اللهجة البابليّة الحديثة: ١٠٠٠-٦٠٠ ق.م
- البابليّة المتأخرة: وهي اللغة التي سادت خلال الفترة الكلدانية والأخمينية والسلوقية أي خلال النصفّ الثاني من الألف الأوّل قبل الميلاد.
- اللهجة الأشورية القديمة (٢٠٠٠-١٥٠٠ ق.م)
- اللهجة الأشورية الوسيطة (١٥٠٠-١٠٠٠ ق.م)
- اللهجة الأشورية الحديثة (١٠٠٠-٦٠٠ ق.م)

II- اللغة الآرامية:

تعدّ اللغة الآراميّة من اللغات التي انتشرت في الهلال الخصيب وأصبحت لغة متداولة لأكثر من ألف سنة بدءاً من أواخر القرن التاسع وبداية القرن الثامن قبل الميلاد وحتى مائتي سنة تقريباً بعد الفتح الإسلامي (القرن السابع)[2]، وبهذا فإن اللغة الآرامية تنتمي إلى اللغات الجزرية التي سادت الهلال الخصيب والجزيرة العربيّة وبالتالي انتماءها إلى اللغة الأصل وهي اللغة العربيّة الأمّ، ولم تدوّن الآرامية في العصر الذي ظهرت فيه إلاّ بعد مدّة،من انتشارها في بلاد آشور[3]، ومع نهاية القرن السابع قبل الميلاد أصبحت كل ممالك سوريا القديمة وأجزاء من بلاد الرافدين ذات

(١) سليمان، عامر، **اللغة الأكادية (البابلية والأشورية) تاريخها و قواعدها**، الدار العربية للموسوعات ، ط٢ ، ٢٠٠٥، ص ص٤٨ ـ ٥١ ؛ كذلك: الذيب، سليمان، **الكتابة في الشرق الادنى القديم من الرمز إلى الابجدية**، الدار العربية للموسوعات، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م، ص ص ٥٥- ٦٤.

(٢) عبده، سمير، السريانية - العربية الجذور والامتداد، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠٢، ص ٦٥.

(٣) حجازي، محمود فهمي، علم اللغة العربيّة- مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية، مكتبة غريب (ب ت)، ص ١٧٢.

طابع آرامي، وأصبحت اللغة الآرامية لغة المكاتبات في الشرق الأدنى مثلما كانت الاكدية خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد[١]، كما مر بنا.

لقد ظل التعامل اليومي باللغة الآرامية يسود الحياة في بلاد الشام والعراق لعدّة قرون، بينما قل استعمال اللغة الأكديّة (بفرعيها البابلي والآشوري) مع انتشار اللغة الآرامية قبيل سقوط الدولة الأشوريّة[٢].

ومن الجدير بالذكر أن اللغة الآرامية لم تنته إلى هذا اليوم، وذلك من خلال تواجد إحدى لهجاتها وهي اللهجة / اللغة السريانية التي لا تزال مستخدمة إلى الوقت الحاضر من قبل بعض الطوائف المسيحية في بلاد الشام والعراق، خصوصا في قرى معلولان جبعدين (جب عدّين)، وبجعة في سوريا أو طور عابدين في العراق. وينقسم الخط الآرامي إلى قسمين الأقدم هو «الخط الإسترنجلو» وهي كلمة يونانية تعني الخط المستدير، والخط الأحدث والذي ظهر في عام ٤٨٩م ويسمى بالخط السرياني الغربي[٣].

III ـ اللغة الفينيقيّة:

اللغة الفينيقية هي إحدى لغات المجموعة العربيّة الغربية، التي منها اللغة الكنعانيّة، وكلاهما يعدّان إحدى لهجات العربيّة الأمّ، وقد ظهرت وبدأت تنتشر مابين القرن الثاني عشر والحادي عشر قبل الميلاد، وظلت متواصلة إلى حدود ١٠٠م[٤].

لقد كانت اللغة الفينيقيّة لغة المدن الفينيقية الساحليّة حيث عُثر على مجموعة كبيرة من النقوش المنتشرة على طول الساحل الشرقي لمدن البحر المتوسط، أما في الساحل الغربي من البحر المتوسط فيطلق على اللغة الفينيقية "اللغة البونيّة" وذلك ضمن حدود دولة "قرطاجة" بتونس، والتي سرعان ما انتشرت في شمالي إفريقية

(١) د.ديرنجر، **الكتابة**، ترجمة وتعليق عامر سليمان، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ٢٠٠١م، ص ١٢٧.

(٢) حجازي، محمود فهمي، مصدر سابق، ص ١٧٥.

(٣) السعيد، سعيد بن فايز، والمنيف، عبدالله، مصدر سابق، ص ٥٥.

(٤) الفرجاوي، أحمد، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، المعهد الوطني للتراث، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس ١٩٩٣، ص ١٣٣. كذلك: Caplice R , op.cit, p.3.

وشبه الجزيرة الأيبيرية[1]، وبقيت نصوصها حتى القرون الميلادية الأولى[2]، وكان الرومان أول من أطلق كلمة "بونية" على لغة الفينيقيين في مملكة قرطاج. وقد بدأت الكتابة الفينيقية ألفبائية معتمدة على الأبجدية التي تعدّ أثنين وعشرين حرفاً ساكناً وهي المعروفة بمجموعة "أبجد، هوز، حطى، كلمن، سعفص، قرشت ... الخ". وتعتبر حروفاً مبسطة مقارنة مع الكتابات التي ظهرت في بلاد الرافدين. وتعلّم اليونانيون الكتابة الأبجدية واحتفظوا بترتيب الحروف كما هو الحال عند الفينيقيين، فصارت الكتابة الفينيقية أمّ كتابات الأبجديّة في العالم. وبسبب قربها من اللغة العربيّة الحالية سهّل على الباحثين معرفة طريقة لفظ الأسماء ومعانيها مثل كلمة أمّة وعبد وبعل وملك وغيرها من الكلمات، إضافة إلى أن للحروف الفينيقية أسماء خاصة عرفت بها منذ القدم، ويرجح أن عددا كبيرا من تلك الحروف يحمل معاني لتلك الأسماء، منها ألف ليرمز للثور وحرف واو بمعنى وتد وزاي بمعنى سلاح ونون بمعنى سمكة وحرف عين بمعنى عين .... وهكذا[3].

ومن الناحية النحويّة والصرفيّة تعتبر اللغة الفينيقية قريبة من اللغات العربيّة وذلك لاحتوائها على عدّة أوزان مثلها مثل اللغة العربيّة إضافة إلى اعتمادها على الأفعال الثلاثية، وعلى هذا الأساس فإنّ أصل اللغة الفينيقية يعود إلى مجموعة اللغات الجزريّة المنتمية إلى اللغة العربيّة الأمّ.

IV ـ اللغة العبريّة:

اللغة العبريّة من اللغات الجزرية التي انتشرت في الأجزاء الشرقيّة من فلسطين، وتعود أقدم شواهد الخط العبري إلى حوالي القرن التاسع قبل الميلاد، وتشير الأدلة بما لا يدع مجالا للشك من أن العبرانيين تعلموا الخط من الفينيقيين (سكان بلاد الشام وفلسطين)، بعد أن حوّروا بعض الشيء من أشكال الحروف ورسمها، وذلك في القرون الأولى قبل الميلاد عندما دخلت قبيلة إسرائيل أرض فلسطين[4]. ويكاد يكون

(١) هبّو، احمد ارحيّم، مصدر سابق، ص ٣٥.

(2) Freidrich J. and W. Rollig, A Grammar of Phoenician and Punic,1976 .

(٣) زرقة، احمد، أصول اللغة العربية ـ٢. حروف المعجم، ط١، دار علاء الدين للنشر، دمشق، ١٩٩٧م، ص ص١٩-٢٠.

(٤)السعيد، سعيد بن فايز، والمنيف، عبدالله، مصدر سابق، ص ٢٩.

العهد القديم المصدر الوحيد للتعرف على تاريخ هذه اللغة، وشهدت في عصر ازدهار الحضارة العربيّة في الأندلس انتشاراً واسعاً خاصّةً وأنّ اليهود قد ألفّوا العديد من الكتب الدينيّة والتراتيل. وقد شارك اليهود العرب في الحياة الثقافيّة فحاولوا أن يدوّنوا ما يتعلمونه من العرب باللغة العبريّة، ولكن سرعان ما ضعفت هذه اللغة بعد خروج العرب واليهود من الأندلس في القرن الثامن عشر الميلادي، فآلت اللغة العبريّة إلى الفناء. ومع ظهور الحركة الصهيونية في إسرائيل أعيد مجد اللغة العبريّة التي يطلق عليها تسمية «Evrit» بعدّها اللغة الرسميّة الأولى في إسرائيل[1].

وعن تاريخ اللغة العبريّة وارتباطها بالأصل اللغوي، فإننا نجدها منحدرة من اللغة الأصليّة وهي اللغة العربيّة الأمّ التي تفرعت منها العديد من اللغات التي ذكرناها آنفا[2].

V ـ اللغة العربيّة:

اللغة العربيّة هي إحدى اللغات الجزريّة التي تعود في أصلها إلى اللغة العربيّة الأمّ، وهي أنقى وأقرب اللغات إلى الأصل، وذلك لأنّها حافظت على كونها الأقل تأثرا بالعناصر الأجنبية[3]. وتشير الأدلة الكتابية إلى أن الأبجدية العربية نشأت في فترة تنحصر فيما بين أواسط القرن الثالث الميلادي والقرن السادس الميلادي، وقد اشتقت من الخط النبطي مثلما اشتق الأخير من الخط الآرامي[4]، وبانتشاره فقد أصبحت فيما بعد الكتابة الرسمية للإمبراطورية الفارسية والعثمانية[5].

إن أوّل ظهور لاسم العرب كما هو معروف كان في المصادر الأشوريّة خلال القرن التاسع قبل الميلاد، إذ أطلق على ممالك شمال الجزيرة العربيّة ومنها اشتقت كلمة عربي

(١) حجازي، محمود فهمي، مصدر سابق، ص ١٧٤.

(٢) فاضل، عبد الحق، «عربي ـــ آرامي ـــ عبري»، **مجلة سومر**، المؤسسة العامة للآثار، بغداد، ١٩٥٨م، ص١٨٠.

(٣) سوسة، أحمد، **حضارة العرب**، مصدر سابق، ص ١٠٥.

(٤) للمزيد من المعلومات حول جذور الحرف العربي وتطورة، أنظر: الحسن، صالح بن إبراهيم، **الكتابة العربية من النقوش إلى الكتاب المخطوط**، دار الفيصل الثقافية، الرياض، ٢٠٠٣م، ص ص١٧-٤٧.

(٥) د.ديرينجر، مصدر سابق، ص ١٣٤.

وعربيّة ولغة عربيّة[1]. على أن النطق الحالي للّغة العربية الفصحى لا يختلف كثيراً عن نطقها في تلك الأزمنة[2].

وتعدّ اللغة العربيّة الفصحى الأقرب إلى اللغة العربيّة الأمّ خاصّة أنها ظلت منطوقة في الجزيرة العربيّة مهد اللغة الأمّ، وأن أقوامها لم يتعرضوا لغزوات ولم يختلط أهلها بالغرباء، فاحتفظوا بتلك اللغة ولم يتأثروا بلغات الوافدين إلى أرضهم، ويشير إلى ذلك عدد من الباحثين بالقول: «يبدو أن اللغة العربيّة تمثل إلى حدّ معيّن اللغة السامية النقيّة لأنها حافظت على كونها اللغة الأقل تأثراً بالعناصر الأجنبيّة»[3]. ويمكن اعتبار اللغات/ اللهجات المنبثقة عن اللغة العربية مهما تباعدت في ألفاظها وتراكيبها، محافظة على خصائص مشتركة فيما بينها، لأنّها حتماً ترجع إلى أصل واحد مشترك، وهو «اللغة العربيّة الأم»، وبهذا الخصوص ينحى الكثير من المتخصصين هذا المنحى بالقول: «وبالجملة أنّ هناك جماعة من المستشرقين ترى أنّ اللغة العربيّة على حداثة عهدها بالنّسبة إلى اللغات الساميّة» الأخرى، هي أنسب اللغات الساميّة الباقية للدراسة وأكثرها ملائمة للبحث، لأنها لغة لم تختلط كثيراً باللغات الأخرى ولم تتصل باللغات الأعجميّة قبل الإسلام فبقيت في مواطنها المعزولة صافية أو أصفي من غيرها في أقلّ الأحوال،.... وهي اللغة الساميّة النقيّة لأنّها حافظت على كونها اللغة الأقل تأثرا بالعناصر الأجنبيّة»[4].

وبالفعل بقيت اللغة العربيّة محافظة على الخصائص المشتركة بينها وبين بقيّة اللغات الجزرية، فهناك العديد من الألفاظ التي تداولها العراقيون القدامى والفينيقيين والعبريّين لا تزال حيّة ليومنا هذا بفضل اللغة العربيّة، وفيما يتعلق الأمر بالحروف، فان عدد الحروف التي وصلت إلينا عن اللغات الجزرية تسعة وعشرون حرفا، وهذه نجدها ممثلة في العربية الجنوبية القديمة وبلهجاتها مثل السبئية والمعينية والقتبانية والحضرمية. ولو أننا قارنا هذه الحروف مع كل لغة من اللغات الجزرية لوجدنا أن أوفى هذه الأبجديات وأشدها انطباقاً على مخارج حروف لغة الجزريين الأوائل هي

(١) عبده، سمير، **السريان، المسيحيون، المسلمون**، دار علاء الدين، عمان، ٢٠٠٢م، ص ٩٧ وما بعدها.

(٢) زرقة، احمد، مرجع سابق، ص ٢٧.

(٣)سوسة، احمد، **حضارة العرب**، ص ١٠٥.

(٤) نفس المصدر، ص ١٠٤.

حروف الأبجدية العربية الفصحى التي تحتوي على كل ما جاء فيها من حروف عدى حرف واحد هو السين الشينية الذي فقدته أغلب اللغات السامية عدى العبرية والعربية الجنوبية. وهكذا تصبح مخارج الحروف في العربية الفصحى ثمانية وعشرين وفي العربية الأم على أوسع الافتراضات تسعة وعشرين، بينما هي تنقص عن ذلك كثيراً في العبرية والآرامية والفينيقية والسريانية وغيرها من اللغات الجزرية، حيث يكون عدد حروفها اثنين وعشرين حرفا مرتبة على النظام المعروف بـ «أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ..... الخ» كما ذكرنا، وقد احتفظت المصادر العربية بهذا الترتيب الجزري (السامي) الشمالي كما أن بعض الحروف العربية حافظت على نفس الترتيب الأصلي للحروف في السامية[1].

ويرجع الفضل الأكبر إلى كتاب الله العزيز»القرآن الكريم» الذي حافظ على أصل اللغة «لغة الضاد» التي نكتب بها اليوم مراسلاتنا الرسمية ويتكلّم بها الكثير من السكان العرب وفي العديد من الأقطار الأجنبية والمسلمة خصوصاً[2].

المطلب الثاني: التأصيل اللغوي لبعض المفردات العربية الفصحى في البيئة الصحراوية:

بالنسبة لسكان الجزيرة العربيّة فإن اللغة العربيّة القديمة التي انبثقت عنها اللغة العربية الفصيحة، تعد في نظر عدد من الخبراء بأنها «اللغة التي يتكلّم بها بدو الجزيرة العربيّة حالياً، إذ يعتقد الكثيرون أنها أقرب جميع اللهجات إلى اللغة العربيّة الأصليّة التي يتكلم بها أبناء الجزيرة قبل أن تنفصل لهجاتهم في مستوطناتهم الجديدة وذلك لأنهم بقوا منفصلين عن الأقوام الأخرى»[3].

لذا فإننا سنجد عند العودة الى أصول عديد من المفردات اللغوية العربية الفصيحة والتي نستعملها اليوم، متأصلة لفظاً ومعنى في لغات ولهجات قديمة نشأت وترعرعت في أرض الجزيرة العربية واحتضنتها بكل اعتزاز لغة أهل البدو في البيئة

(١) بعلبكي، رمزي، **الكتابة العربية والسامية: دراسة في تاريخ الكتابة واصولها عند الساميين**،ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١، ص ٣٠٢ ومابعدها.

(٢) سوسة، أحمد، **فضل العرب**، ص ١٠٤.

(٣)سوسة، أحمد، **فضل العرب**، ص ٣٠٣.

الصحراوية، ومن بين أهم هذه المفردات المرتبطة بالبدو والبادية نذكر الآتي:

أولا- الصحراء:

وهي أول ما يمكن أن يكون له علاقة بالبدو والبادية، ففي لسان العرب ترد البادية كاسم لأرض لا حضر فيها، وإذا خرج الناس من الحضر إلى المراعي في الصحاري قيل: قد بدوا، والاسم البدو،كما توصف على أنها الفضاء الواسع الذي لا نبات فيه وجمعها صحاري وصحارى وصحراوات[١]. وفي أقدم اللغات الجزرية وهي الأكدية نجد لفظة «صيرُ» (Ṣēru) بمعنى السهل والصحراء، والرجل الذي يعيش في الصحراء يسمى برجل الصحراء أو رجل الأرض المفتوحة[٢]، وهنا اللفظة خالية من حرف الحاء لأن الأصوات الحلقية (الهاء والحاء والعين) قد فقدتها الأكدية، إلا إنها احتفظت بالهمزة في بعض الكلمات أو فقدتها كلياً، وبعض الأحيان يطرأ عليها تغيير صوتي في كلمات أخرى. أما في العبرية نجد الأصل صحراء بمعنى اللون المائل للحمرة أو الأسمر المصفر، ومن المحتمل أن يكون لهذا الأصل علاقة بلون رمال الصحراء، وفي اللغة الاكدية قرب كبير وشبه في اللفظ بين الصحراء والأفعى والتي يحتمل أنها شوهدت لأول مرة في الصحراء فأخذت اسمها «صيرُ» الذي يلفظ (Ṣēru)[٣]، واللفظ قريب من لفظ «الصّلُ» وهو صغير الأفعى، ويتوضح المعنى من خلال الرسم الصوري لشكل الأفعى منذ أواخر الألف الرابع قبل الميلاد في بلاد الرافدين[٤]. أما ذكر الصحراء في اللغة العبرية التوراتية فقد جاءت بلفظة «مدبار» ونفس المعنى للكلمة بلفظ مختلف قليلاً هو "مدبرا"، نجده يقابل معنى كلمة صحراء في اللغة السريانية[٥]، وتأتي أيضا في العبرية وآرامية المملكة والآرامية اليهودية والاكدية بمعنى البرية أو الصحراء[٦]. ومن اللافت ذكره، أن هناك قرابة لغوية واصطلاحية بين الصحراء والبرية يقترب كثيراً

(١)ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين، **لسان العرب**، المجلد الأول، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م، ص ١٧٨.

(2) Labat R, Manuel D'épigraphie Akkadienne, société Nouvelle librairie orientaliste . Paris 2002,no.168, p.109.

(3) Labat R, op.cit, no.374,p.171.

(4)ibid.

(5) Payne Smith, Syriac English Dictionary, Oxford, 1979, p.251.

(6) Hoftijzer J and K.Jongeling, Dictionary of the North-West Semitic Inscriptions, Leiden. New York. Köln, 1995 , p.595.

من لفظ الصحراء في اللغة الاكدية.

ثانيا - البرية:

إن جمع كلمة برية هو «براري» وهي من البرّ خلاف البحر، وهي ترادف كلمة صحراء التي نسبت إلى البرّ. ويقال في الأدب أفصح العرب أبرهم، أي بمعنى أبعدهم في البرّ والبدو دارا، وعندما يقال خرج برّا، يراد به خرج إلى الصحراء، ومثلما وجدنا الارتباط الشديد بين الصحراء والبادية والبدو نجد أن البرية ترتبط بنفس تلك المعاني والاصطلاحات، فمن الباحثين من يرى أن البدو لغة واصطلاحا «هم أهل البادية وسكان الصحراء والبرية»[١]، وفي أول لغة مكتوبة من الألف الثالث قبل الميلاد وهي اللغة السومرية التي انتشرت في جنوب بلاد الرافدين، ترد اللفظة "أورُ. بارا" (URU-bar-ra) أي «المدينة البرانية» وبمعنى أدق، القسم الذي يقع خارج المدينة[٢]، أو الأرض غير المزروعة أو الأرض المفتوحة. وهذا اللفظ في اللغة السومرية، الاكدية المتداخلة، نجد له صدى في أقسام المناطق الإدارية للمدينة العراقية القديمة بما فيها البرية والتي تتلاقى مع باقي اللغات واللهجات السامية. ففي عبرية التوراة نلاحظ الاسم «بار» بمعنى «الحقل» أو «البرية»، وذلك في سفر أيوب ٤:٣٩ ، ونفس الشيء يقال عن ورودها في الآرامية التوراتية والسريانية بمعنى «الأرض المفتوحة»[٣]، ووردت كلمة «بر» بمعنى خارج في الآرامية الرسمية والتدمرية والحضرية[٤]، وكذلك السريانية[٥]. والجدير بالذكر أن الفعل "برى" بمعنى يخرج وبهذا اللفظ في النصوص المصرية القديمة منذ الألف الثالث قبل الميلاد.

ثالثاً- الجمل وعلاقة الاسم بالبدو والبادية:

ورد في النصوص الأكدية أن الأكديون عرفوا الجمل باسم «**گ**/جمَّلُ»(gam-malu)[٦]. ومنذ مطلع الألف الثانية ق.م في الفترة المعروفة بالعهد البابلي القديم، ظهرت هذه

(١) الاشبط، علي عبد الرحمن، **الأعراب في تاريخ اليمن القديم: دراسة من خلال النقوش من القرن الاول ق.م إلى القرن ٦ م**، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب بجامعة صنعاء، قسم التاريخ،٢٠٠٢، ص ٣١.

(٢) باقر، طه، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، الجزء الأول، دار البيان، ط١، بغداد، ١٩٧٣، ص ٣٢٧.

(3)- Francis Brown, S.R.Driver, C.A. Briggs, Hebrew and English Lexicon of the Old Testament, Oxford, 1976, p.141.

(4) - Hoftijzer J and K.Jongeling. op.cit. p.195.

(5) - Payne Smith.op.cit. p.53.

(٦) التُركي، قصي منصور عبد الكريم، **التجارة البحرية بين العراق والخليج العربي خلال الألف الثالث قبل ميلاد السيد**

التسمية الوصفية في معجم لغوي قديم وصنفه العراقيون القدامى للتعريف بالمفردات والأفعال السومرية بما يقابلها في الأكدية، فجاءت تسمية الجمل بالأكدية «إبِلُ» (i-bi-lu) بمعنى»الإبل» والمعروفة في اللغة العربية بصيغة الجمع، كما يأتي بالاكدية بلفظ «جمّلُ» (gammalu) والتي تقابل الاسم السومري (ANŠE-GAM-MAL) للجمل وبنفس الصيغة باللغة العربية، مع إضافة السابقة الخاصة بحيوانات الركوب في اللغة السومرية[1].

وعلى العموم فان لفظة إبل لها علاقة بجذر الفعل الأكدي abālu وكذلك wabālu ومعناهما «ينقل، يجلب، يحمل» واسم الفاعل منه «آبيلُ» ābilu، أي الحامل والناقل[2]. وبما أن الإبل منذ فترة تدجينها الأولى في الألف الثانية قبل الميلاد والى يومنا هذا مرتبطة بالنقل والحمل فالأرجح أن تكون إحدى المفردتين أساساً للأخرى، وعلى أية حال فهي من الكلمات العربية الأصيلة.

وتجدر الإشارة إلى أن لفظة «إبل» كما تكشف الكتابات المسمارية قد استخدمت قبل لفظة «الجمل» بأسبقية زمنية محدودة. ومن المرجّح أن لفظة « إبل « شاعت في اللغة العربية والسبئية والصفوية والثمودية، بيمنا شاعت لفظة «جمل « في العبرية والآرامية ولهجاتها[3].

ولابد أن يكون للناقة شيء مما عرضنا له في اسم الجمل، فالناقة في اللغات القديمة ترد في المدونات الآشورية من القرن الثامن قبل الميلاد بصيغة «أناقاتي» (anaqate) (وهي صيغة جمع المؤنث السالم في اللغة الاكدية)، ومن اللافت للنظر أن «الناقة» في إحساس العربي القديم وتصوره شيء يتصف بالحسن، بل لقد تحاكى الشاعر العربي مع ناقته كثيراً متغزلاً بها وممتدحاً حسنها وجمالها وكأنها عشيقته التي يهواها بل انه قارن نفسه بها، إذ يذكر الشاعر عروة بن حزام (حوالي ٦٥٠ م)

المسيح، رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، ٢٠٠٣-٢٠٠٤م، ص ٢٥٧.

(1) Labat R, op.cit, no.208, p.119.

(2) Black J and Others A Concise Dictionary of Akkadian, (=CDA) Wiesbaden, 1999, p.1.

(٣) صراي، حمد، «الإبل في بلاد الشرق الأدنى القديم وشبه الجزيرة العربية «، **الجمعية التاريخية السعودية**، بحوث تاريخية، الإصدار الثالث، مايو- ١٩٩٩م ، ص ٢.

قوله[1]:

فمنْ يكُ لم يغرضْ فإني وناقتي ... بِحَجْرٍ إلَى أَهْلِ الحِمى غَرَضانِ

تحنُّ فتبدي ما بها منْ صبابةٍ ... وأخفي الّذي لولا الأسى لقضاني

هوى ناقتي خَلْفي وقُدَّامي الهوى ... وَإنّي وَإيَّاهَا لَمُخْتَلِفَانِ

وعودة إلى بدء فان لفظة «ناقة» في اللغات القديمة جاءت كتسمية لأنثى الجمل بمسمى anaqate منذ العهد الأشوري الوسيط والحديث[2]. بيد أن تكرار ذكر الاسم الدال على سفينة الصحراء التي يعرفها الجميع اليوم فكان من نصيب الجمل، والذي ذكرته المصادر المسمارية منذ مطلع الألف الأول قبل الميلاد ولاسيما في أخبار الملك «شيلمنصر الثالث» في حملته على دويلات الشام في معركة القرقار سنة ٨٥٣ قبل الميلاد[3]. وترد لفظة جمل بصيغ متقاربة لفضا ومعنى في العبرية والأرامية والنبطية والتدمرية والسريانية واللهجات العربية القديمة. أما الاسم الذي أطلقه اليونان على الجمل فهو Kamelos وفي اللاتينية القديمة Camelus، ومن الواضح جداً أن أصل التسميتين عربي، وقد يوحي ذلك تسربها إلى اللغات الأوروبية الحديثة بصيغة Camel[4]. أما في السريانية فنلاحظ اللفظتين «ابلتا وهبلتا» بمعنى قطيع من الجمال، ومن الجدير بالملاحظة أن اللغة السريانية فرقت بين الذكر والانثى، فلفظ «كملا» تأتي للمذكر و«كملتا» للمؤنث. وما يجدر التنويه به أن التوراة عرفت لفظة «جمل» ولم تستخدم لفظة إبل عند إشارتها إلى هذا الحيوان، كما ورد ذكر الجمل في اللغة العبرية (الكتاب المقدس)، بلفظة «كامال» بمعنى «جمل»، كاسم مذكر في عدة مواضع من أسفار العهد القديم[5]. واللافت للنظر أن لحم الجمل يحرم أكله في الكتاب المقدس، مثلما ورد في سفر اللاويين ١١:٤ (إلا هذه

(١) الشاعر عروة بن حزام من متيمي العرب، عاش في وادي القرى قرب المدينة المنورة ودفن في نفس الوادي، للمزيد، انظر: الموسوعة العالمية للشعر العربي – الشعر الفصيح، على الموقع التالي: http://www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=shqas&qid=20641

(٢)التُركي، قصي منصور، مصدر سابق، ص ١٢٥.

(٣) الهاشمي، رضا جواد، **آثار الخليج العربي والجزيرة العربية**، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٤، ص ٢٧٩.

(٤) لمزيد من المعلومات حول مسميات الإبل في اللغات القديمة يمكن الرجوع إلى: الهاشمي، رضا جواد، «تاريخ الإبل في ضوء المخلفات الأثرية والكتابات القديمة»، **مجلة كلية الآداب**، جامعة بغداد، العدد ٢٣، الملحق، ١٩٧٨، ص ص١٨٥-٢٣٢.

(5) Brown F and Others, Hebrew and English Lexicon of the old Testament, Oxford 1972, p168..

فلا تأكلوها مما يجتر ومما يشق الظلف: الجمل، لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفا فهو نجس لكم). وقد يكون لذلك أثره في عزوف البعض عن أكل لحم الجمل أو ما يعرف في كتب السنة النبوية بـ «الجزور» مع ضرورة التعرف على صحة الأحاديث الواردة في أكل لحم الجمل للمقارنة بين ما ورد في الكتاب المقدس وما ورد في الأحاديث النبوية الشريفة.

وفي لغات جزرية (سامية) أخرى من غير الأكدية والعبرية ترد لفظة الجمل في آرامية المملكة النبطية والتدمرية[1]، والسريانية الفصحى[2]، واللهجات العربية القديمة كاللحيانية والصفوية والثمودية والسبئية[3]. أما لفظة البعير فتطلق على الجمل أيضا في العربية الجنوبية والسريانية والآرامية والأثيوبية، وتستعمل العبرية لفظة البعير لحيوان الحمل عموماً[4].

لقد ارتبط الجمل بالبدو والبادية دون سواهم من شعوب الشرق القديم ومن النادر أن يظهر نص مسماري من نصوص العهد الأشوري الحديث، يتكلم عن العرب باعتبارهم بدو الصحراء دون ما الإشارة إلى حيوانهم الرئيسي الجمل[5]، لذا فمن المرجح أن يقال بأن تدجين الجمل يرجع بتاريخه إلى الألف الثاني ق.م[6]. وبما أن العرب كانوا وراء تدجين الجمل[7]، باعتبارهم أمة قديمة في موطنها الأصلي الجزيرة العربية، فان اعتماد الفرضية التي تشير إلى ظهور العرب على مسرح الأحداث في الشرق القديم يكون في الألف الثاني قبل الميلاد أي أن تقترن بدايات الدور الفاعل للعرب في التاريخ مع تدجين الجمل. وبذلك فان تاريخ ظهور العرب يسبق ما تمت الإشارة إليه صراحة في نص الملك الأشوري شيلمنصر الثالث في ٨٥٣ ق.م[8]. ومع ذلك فالراجح بين الباحثين أن مطلع الألف الأول قبل الميلاد يمثل سيادة هذا الحيوان في التنقلات فوق الأرض

(1) Hoftijzer J and Jongeling K ,op.cit, p. 226.

(2) Payne Smith,op.cit, p.72.

(٣)الذيب، سليمان، **المعجم النبطي**، الرياض، ٢٠٠٠، ص ص ٦٣-٦٤.

(4)Brown F and other, op.cit ,p. 129.

(5) Ibid, p. 213.

(٦) علي، جواد، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، الجزء الأول، منشورات الشريف الرضي، ب ت، ص ١٩٧.

(٧) الصراي، حمد، مصدر سابق، ص ٣.

(٨) الهاشمي، رضا، **تاريخ الإبل**، مرجع سابق، ص ص ١٨٦-١٨٧.

العربية[1]، ويتردد في الغنائم والجزية وفي أعمال البيع والشراء إضافة إلى استخداماته في شؤون النقل التجاري والعسكري[2].

لقد استطاع الإنسان البدوي التوغل في البوادي والصحاري عندما تمكن من ترويض الجمل وتطويعه لخدمة أغراضه التي تعود عليه بالنفع والفائدة لديمومة حياته، بعد أن كانت الصحراء عصية عليه لسبر أغوارها، لذا فان عرب الجزيرة وقبل تدجين الجمل لم يتمكنوا من اختراق البوادي، والوسيلة التي كانوا يعتمدون عليها في الركوب والحمل هي الحمار، وهذا الأخير لا يتحمل الولوج بالبادية وغير قادر على العيش فيها[3]. لقد وسع الجمل البداوة عند أهل جزيرة العرب وجعلها عالماً خاصاً يقابل عالم الحضارة، وهو الذي صار أهم واسطة لنقل البضائع والسلع بالطرق البرية الطويلة[4]، وصار للجمل دور مهم في تأمين المواصلات الصحراوية وتطوير الصلات التجارية في جميع أنحاء الشرق الأدنى[5].

ولابن خلدون قول في علاقة البدوي العضوية بالإبل إذ يذكر: «وكذا المتغذون بألبان الإبل ولحومها أيضا مع ما يؤثر في أخلاقهم من الصبر والاحتمال والقدرة على حمل الأثقال الموجود للإبل، وتنشأ أمعاؤهم أيضا على نسبة أمعاء الإبل في الصحة والغلظ فلا يطرقها الوهن ولا ينالها من مدار الأغذية ما ينال غيرهم»[6].

رابعاً- الرعي:

من لوازم البيئة الصحراوية العربية القديمة ما يتصل بالرعي، ذلك أن رعي العرب للإبل والخيل وسائر الدواب هو ما كان يشغلهم، فهم أهل رعي وهم «رعاة» و«رعاء». وأصل كلمة رعي في العربية من فعل رعى حيث يرد في الأكادية «ريعُ» re'u والعبرية «رعى» وفي الآرامية والسريانية والتدمرية والنبطية والفينيقية «رعى» أيضاً. وقد جاء في كتاب التهذيب للأزهري، أن أكثر ما يقال «رعاة» للولاة، ويقال «الرعيان»

(١) الهاشمي، رضا، «تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم»، **تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، ١٩٨٤، ص ١٠.

(٢) الهاشمي، رضا، وآخرون، «التجارة»، **حضارة العراق**، الجزء الثاني، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٥، ص ٢٢٥.

(٣) علي، جواد، **المفصل**، ص١٩٨.

(٤) علي، جواد، **المفصل**، ص١٩٨.

(٥) سوسة، احمد، **تاريخ حضارة وادي الرافدين**، الجزء الأول، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٣، ص ٢٨٣.

(٦) ابن خلدون، عبد الرحمان محمد، مصدر سابق، ص ٩٤.

لرعاة الأغنام، وان إشارة التمييز هنا بين «الرعاة» و«رعيان» مفيدة، لأن هذا اللفظ قد تحول مجازا فقالوا مثلاً، إن الحاكم يرعى المحكومين ويتفقدهم وينتصر للمظلوم من الظالم، وإلى هذا ينصرف الحديث الشريف «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»، و«الرعية» في الأصل الماشية، وهذه هي الرعية في الأصل ثم تحولت إلى الناس الذين يحكمهم ويلي أمورهم وهو صاحب أمرهم وهو الراعي.

خامساً- العرب والبدو والبادية :

إذا تتبعنا تاريخ لفظ كلمة «العرب» ومعناها نجد لها حيزاً زمكانياً في اللغات القديمة وخاصة في أقدم نص وردت فيه الكلمة، وذلك في اللوح الآشوري الذي عرجنا عليه سابقاً والذي يعود بتاريخه إلى سنة ٨٥٢ ق.م. زمن الملك الآشوري شيلمنصر الثالث، والذي أشار فيه إلى أحد زعماء العرب الذي تغلب عليه واسمه «جنديبو» أو «جندب» العربي الذي أسهم بألف مقاتل على جمالهم حاربوا جيش الملك الآشوري[١].

ومنذ القرن الثامن قبل الميلاد أخذ لفظ «عرب» يتردد بكثرة في الوثائق الأشورية والبابلية وفي صيغ متقاربة، منها «إ/عريبي» (aribi) و «أ/عَربي» (arbi) و «أُ/عُربي» (urbi)[٢]، كما وردت في النصوص المسمارية الآشورية والبابلية الحديثة، العديد من الإشارات إلى العرب وتحالفاتهم مع أبناء جلدتهم من سكان الجزيرة العربية وصراعهم مع الأشوريين[٣].

وذكر البعض أن لفظ عرب يعود إلى الكلمة العبرية «عَربَة» والتي تعني القفر أو البرية أو الصحراء[٤]، ومما يمكن اشتقاقه من معاني اللفظ عرب في اللغة العبرية أنه يعني التنقل والتجول[٥].

أما عند الفرس فقد وردت لفظة عرب في حدود سنة ٥٥٠ ق.م. وظهرت للمرة

(١) الاشبط، علي عبد الرحمن، مرجع سابق، ص ٣٣.

(٢)الكعبي، عبدالحكيم غنتاب؛ واندیشة، احمد محمد، **دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار ومكتبة الشعب للنشر والتوزيع، ط١، مصراته، ليبيا، ٢٠٠٥، ص ٣٥

(٣) الاشبط، علي عبد الرحمن، مرجع سابق ، ص ص ٣٣-٣٦.

(٤) الاشبط، علي عبد الرحمن، مرجع سابق، ص ٣٩.

(٥) ولفنسون، اسرائيل، **تاريخ اللغات السامية**، ط١، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٩٨٠، ص ص ٧٧-٧٨.

الأولى في النصوص الفارسية التي تعود إلى عهد الملك كورش الثاني، حيث أشار مدلول التسمية إلى ارتباط القوم بالبدو والبادية، فقد ذكر الملك ان من بين الذين دانوا له بالولاء والطاعة من وصفهم بـ « ملوك الأرض العربية الذين يسكنون الخيام»[١]. وعند حديث الملك الفارسي الشهير «دارا» عن الأراضي التي خضعت لحكمه فقد استخدم لفظ «عربايه أو أربايه» لتعني بادية الشام بما فيها شبه جزيرة سيناء، وهي إشارة إلى القبائل البدوية التي كانت تسكن المنطقة المذكورة في عصر الملك دارا[٢]. أما عند أهل الجنوب من الجزيرة العربية، ونقصد بذلك الكتابات السبئية، فقد وردت في أول إشارة من خلال الصراع بين ملوك سبأ والأعراب، صيغة الأعراب على النحو التالي «ع ر ب ن» (عربن) وذلك خلال فترة القرن الأول قبل الميلاد[٣].

أما في القرآن الكريم فان هذه الكلمة وتعلقها بالجنس العربي لم تأتي بشكل واضح إلا في آيات التنزيل الحكيم، وذلك يعتبر أول مصدر للفظ كلمة العرب للتعبير عن القومية والجنس العربي بوضوح تام، حيث وردت فيه صيغتا «أعراب» ١٠ مرات، وكلمة عربي ١١ مرة، منها ١٠ مرات نعتا للّغة التي نزل بها القرآن الكريم ومرة واحدة لتنعت شخص الرسول[٢].

أما ورود لفظ العرب في الشعر بعد الإسلام فكان جلياً وواضحاً وخاصة في أيام الإسلام الأولى، وهذا مما يطول شرحه في هذا البحث الذي أردناه مقتصراً على مصطلحات البدو والبادية وما يرتبط بهما.

يتضح مما سبق أن اسم العرب بكل أشكاله اللفظية المتغيرة النهاية عادة، تتفق مع اسم وصفات البدوي والبادية، لان الاسم مهما دلّ كبلاد أو مكان أو قوم أو نسب فانه مرتبط بالمفهوم الذي اشرنا إليه[٤]. أما منطقتهم فإنها كانت تشتمل على مناطق شمال الجزيرة وشبه جزيرة سيناء ثم امتدت لتشمل أرجاء واسعة من شبه الجزيرة

(١) توينبي.أ.ج ، **مختصر دراسة للتاريخ**، الجزء الثاني، ترجمة فؤاد محمد شبل، ط٢، مطبعة جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٢١٨.

(٢) الاشبط، علي عبد الرحمن، مرجع سابق، ص ٤١.

(٣) الاشبط، علي عبد الرحمن، مرجع سابق، ص٤٣.

(٤) إسماعيل، عارف، **العلاقة بين العراق وشبه الجزيرة العربية**، ط١، مركز عبادي للطباعة والنشر، صنعاء، اليمن، ص ص ١٣٦-١٣٧.

العربية جنوباً، وكانت حياتهم قائمة على التنقل والسعي إلى موارد الماء والكلأ وهي صفات تربطهم بالبدو وحياتهم التي يعيشونها إلى يومنا هذا[1].

وأخيرا نستطيع القول أن البدو البداوة كانت الطابع المميز لعربيتنا ولكن عبقرية هذه اللغة نقلت الأصول البدوية القديمة إلى مواد أخرى عن طريق المجاز ثم إنها أصبحت حقيقة من الحقائق.

الخاتمة والاستنتاجات:

إن هدف هذه الورقة هو محاولة لإعادة السمة الأصيلة للغة عريقة ترتبط بفكر وتراث العرب، وهي اللغة العربية الفصحى، إذا ما أردنا أن نعود إلى الأصول في محاولة لفهم اللغة التي تنتمي إلى لغة أقدم إصطلح بعض الباحثين العرب على تسميتها باللغة الأم، ثم ومن خلال التعرف على معاني وألفاظ بعض المفردات الحية في اللغة اليوم والتي وجدنا أنها لاتبتعد البته عن لغة القاطنين في أرض الجزيرة، حيث اتاح لنا البحث التعرف على جملة من المعطيات يمكن تمييزها بالآتي:

أولاً- إن حقيقة التقارب الكبير بين اللغة العربية وعدد من لهجات الجزيرة العربية القديمة بما فيها اللغة الاكدية (البابلية والاشورية) وأخواتها العبرية والسريانية، لم يكن وليد الصدفة قديماً أو في الوقت الحاضر، فقد تنبه إليه عدد من الكتاب العرب منذ ما يقرب من ألف عام، ومن ذلك ما ذكره ابن حزم المتوفى سنة ٤٥٦هـ عندما شبه في كتابه الإحكام، القرابة اللغوية بين العربية والعبرية والسريانية، قائلا:

«يقينا أن السريانية والعبرانية والعربية ... لغة واحدة تبدلت مساكن أهلها، فحدث فيها جرش كالذي يحدث من الأندلسي إذا رام نغمة أهل القيروان ومن القيرواني إذا رام نغمة الأندلسي ... إن اختلافهما ... من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان، واختلاف البلدان، ومجاورة الأمم، وأنها لغة واحدة في الأصل»[2].

---

(١) حتي، فيليب، وآخرون، **تاريخ العرب**، ط٥، دار غندور، بيروت، لبنان، ١٩٧٤م، ص ٦٨.

(٢) الأندلسي، أبي محمد علي بن أحمد ابن حزم، **الأحكام في أصول الأحكام**، الجزء الأول، مراجعة احمد شاكر، القاهرة، ب ت، ص ص ٣٠-٣١.

ويبدوا أن هذه الحقيقة التي ذهب إليها الفقهاء والمؤرخون العرب لم تلق من يقبلها ويترجمها على أرض الواقع، خاصة وان ترجمات الكتابات القديمة لم تكن معروفة آنذاك، بيد إن الكشف عن ترجمات الكتابات جعل من الضرورة القصوى أن تترجم جميع الكتابات الجزرية القديمة بالحرف العربي بدلا عن الحرف اللاتيني، وبالفعل قام عدد من الباحثين والمهتمين بالدراسات اللغوية والتاريخية منذ أواخر القرن الماضي بالتدقيق في ترجمة عدد من المسميات التي أصبحت من المسلمات في مجال البحث العلمي اللغوي والانثروبولوجي على حد السواء، فكانت البداية مع مصطلح اللغات السامية (Semitic Languages) الذي أصبح من الضروري استبداله بمصطلح "اللغات الجزرية" أو "العربية القديمة"، أو "العربية الأم" (موضوع بحثنا)، ويؤكد ذلك الأدلة التي طرحتها الدراسات التاريخية واللغوية والانثروبولوجية الحديثة، والتي تمت خلال القرنين الماضيين والتي أثبتت عدم دقة ما ورد في أسفار العهد القديم عن انساب نوح عليه السلام وأولاده[1].

ثانياً- بات من الضروري إيجاد طريقة ما لإحياء اللغة العربية الأم وبناتها من عائلة اللغات الجزرية ومطابقتها من حيث القراءة والترجمة إلى سابق عهدها وقربها للغة ليست ببعيدة عنها . وحيث أن اللغة العربية من عائلة اللغات الجزرية، فان الحرف العربي يكون هو الحرف الأكثر ملائمة لنقل أصوات تلك اللغة التي تحمل في معانيها وتراثها معالم تاريخ المنطقة العربية وعلوم أهلها ومعارفهم، وبهذا الشكل من القراءة سوف لن يضطر القارئ بالحرف العربي إلى ابتداع رموز وأشكال كالتي ابتدعها الأوربيون لكتابة الأصوات بالحرف اللاتيني.

إن جلّ الأبحاث التاريخيّة والعلميّة التي توصل إليها الباحثون أثبتت أن اللغة العربيّة الأمّ هي أصل اللغات الجزريّة، التي يفترض أنّها كانت تستخدم في شبه الجزيرة العربيّة قبل أنّ تتفرّق أقوامها بسبب الهجرة. فبفضل اللغة الأمّ استطاع

(١) انظر مزيد من المعلومات حول هذه الطروحات في :

- علي، جواد، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج٤، ١٩٥٤، ص ص ٢٨٧- ٢٨٨.
- عبدالوهاب، لطفي، **العرب في العصور القديمة**، ١٩٧٨، ص ٤٤ وما بعدها.
- الأحمد، سامي سعيد، **اللغات الجزرية**، بغداد، ١٩٨١، ص ٣ وما بعدها.

الإنسان التواصل مع بني جنسه والمضي من أجل استيعاب جميع اللهجات المنبثقة منها، ومن هنا نكتشف مدى تأثر الشعوب ولهجاتها ببعضها البعض، وعلى هذا الأساس يتحقق قول الله تعالى: «**وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم**»، سورة الحجرات، آية ١٣.

ثالثا- لقد أسفر عن هجرة الأقوام من الجزيرة العربيّة عدّة تشعبات عرقيّة امتازت كلّها بطابع المكان والزّمان، فكان لكلّ قوم هويّة خاصّة بهم ميزتهم عن بقيّة الشعوب، وكان لكل شعب لهجة خاصّة تفاهموا من خلالها. وللتعرف على هويّة هذه الأقوام، وجدنا أن الأمر يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمعرفة اللغة التي تكلموا بها. فإن عرفت اللغة وعرفت فصيلتها، أمكن معرفة الأصل الذي انحدرت منه تلك الأقوام الجزريّة ومعرفة أصل اللغة الأمّ.

رابعاً- بفضل اللغة العربيّة الأمّ استطاعت الأقوام تأسيس وحدة حضاريّة في الوطن العربي تمكن من خلالها الإنسان أن يبني حياته على أسس حضاريّة وثقافيّة وفكريّة، كانت صالحة لمتطلبات العصر، وبفضل هذه الوحدة استطاعوا تحقيق النهضة في مختلف المجالات.

خامساً- يفتخر العرب بانتمائهم إلى حضارة كانت منبعها الأصليّ جزيرة العرب وباللغة العربيّة خاصة، وأنّها مصدر ثقافتهم عموماً والمتمثلة في القرآن الكريم والسنة النبويّة المدوّنان باللغة العربيّة الفصحى، وهي لغة الدين الإسلامي والثقافة العربيّة.